قراءة نفسية لأحاديث الامام الحسين عليه السلام في واقعة الطف

الاستاذ الدكتور
حيدر كريم سكر
الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية الاساسية
sukarhaiderattabi@yahoo.com

المقدمة:

تعد واقعة الطف من أكثر المعارك جدلاً في التاريخ الإسلامي، فقد كان لنتائج، وتفاصيل المعركة آثار سياسية، ونفسية وعقائدية، لاتزال موضع جدل إلى الفترة المعاصرة، إذ تعد هذه المعركة أبرز حادثة من بين سلسلة من الوقائع التي كان لها دور محوري في صياغة طبيعة العلاقة بين السنة والشيعة عبر التاريخ، وأصبحت معركة كربلاء وتفاصيلها الدقيقة رمزاً ومن أهم المرتكزات الثقافية، وأصبح يوم ١٠ محرم أو يوم عاشوراء، يوم وقوع المعركة، رمزاً لثورة المظلوم على الظالم، ويوم انتصار الدم على السيف، ورغم قلة أهمية هذه المعركة من الناحية العسكرية، إلا أن هذه المعركة تركت آثاراً سياسية، وفكرية ودينية هامة حيث أصبح شعار "يا لثارات الحسين" عاملاً مركزياً في تبلور الثقافة القائمة على رفض الظلم والاستبداد ونصرة المظلوم لما يمثله الامام الحسين عليه السلام من معاني تحمل كل هذه الثقافة، وأصبحت المعركة وتفاصيلها، ونتائجها تمثل قيم روحانية ذات معاني كبيرة لدى الكثير من بني البشر وهذا ما يمكن ملاحظته من تأثر الكثير من المناضلين والثوار بالمبادئ التي جاء بها الامام الحسين وانصع مثال على ذلك ما قاله الزعيم الهندي غاندي في مقولته الخالدة "تعلمت من الحسين كيف اكون مظلوماً فأنتصر" كذلك قوله " لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أن الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلا بد لها من اقتفاء سيرة الإمام الحسين"،ايضا ما قاله الانكليزي جون آشر" إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي".

إن هذا يعطينا مثالاً على عالمية المبادئ والقيم والمثل التي يمثلها موقف الامام الحسين

بوجه الظلم والطغيان والاستبداد، ويعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه حادثة عظيمة، وفاجعة أليمة، بقيت شاهداً على الظلم والطغيان، إذ استشهد لتنهض الأمة وتواجه طغاتها ولتستيقظ الضمائر التي ماتت وخضعت للسلطان وقنعت بالعبودية، والإسلام لازال في أول طريقه، لذلك ضحى الإمام الحسين ليعود الإسلام إلى مساره، وليفتح الطريق أمام من سلموا للظلم لينتفضوا، فكانت أحداث الطف سبباً في نهاية الدولة الأموية بما يقارب من إحدى وسبعين عاماً من استشهاده، وبذلك فلا غرابة أن تكون لشهادة الإمام الحسين عليه السلام مثل هذه الكرامات (ابي مخنف، ب ت: ٥٤)

فالدوافع الحقيقية لثورة الحسين عليه السلام، كانت تتمثّل بهدف ثلاثي الأبعاد، يركّز البعد الأوّل منه على تحديد الموقف الشرعي من أُناس تسلّقوا إلى قمّة الهرم السلطوي الإسلامي بدون أهلية أو كفاءة ولم يتّصفوا بالشرعية، وبعُد آخر مستقبلي يتمثّل بحركة الإسلام المستقبلية التي يراد لها أن ترتكز على قواعد الحقّ والعدم، أمّا البُعد الثالث فيتعلّق بالأمّة ومسارها الحقيقي وأوضاعها المختلفة التي تدهورت بفعل سيطرة وسطوة حكام الجور والطغيان، وهنا، يشير خالد محمد خالد ((إن القضية التي خرج البطل حاملاً لواءها لم تكن قضية شخصية تتعلق بحق في الخلافة، أو ترجع إلى عداوة شخصية يضمرها ليزيد، كما أنّها لم تكن قضية طموح يستحوذ على صاحبه، ويدفعه إلى المغامرة التي يستوي فيها احتمال الربح والخسران كانت القضية أجلّ وأسمى وأعظم، كانت قضية الإسلام ومصيره والمسلمين ومصيرهم وإذا صمت المسلمون جميعهم تجاه هذا الباطل الذي أنكره البعض بلسانه، وأنكره الجميع بقلوبهم فمعنى ذلك أن الإسلام قد كفّ عن إنجاب الرجال، معناه أن المسلمين قد فقدوا أهلية الانتماء لهذا الدين العظيم. ومعناه أيضا أن مصير الإسلام والمسلمين معا قد أمسى معلقا بالقوة الباطشة فمن غلب ركب، ولم يعد للقرآن ولا للحقيقة سلطان، تلك هي القضية في روع الحسين، وبهذا المنطق أصر على الخروج (القرشي ب، ت، ١٢٣ - ١٢٤).

لذا جاء هذا البحث في محاولة القراء النفسية لاحاديث اشار اليها الامام الحسين عليه السلام في واقعة الطف من خلال تحليل البعد النفسي لهذه الاحاديث ومدى اهمية هذا البعد في اعطاء صورة واضحة وحقيقية عن ما كان يحمله الامام الحسين عليه السلام من مبادئ وقيم كان يدافع عنها، وهي تمثل حقيقة ما يحمله سيد الشهداء من قيم ومثل تربى عليها في بيت النبوة التي يعد هو امتداد لهذا البيت الهاشمي الاصيل.

أهمية البحث والحاجة اليه:

تمثل حياة الامام الحسين عليه السلام مدرسة للأجيال تنهل منها صور البطولة والفداء والتضحية من اجل المبادئ التي يؤمن بها الانسان، فهي مدرسة تفيض بالخير والعطاء على الناس جميعاً متفقين ومختلفين، فهي تغذيهم بالوفاء والصبر، وتدفعهم إلى الايمان بالله، وتعمل على تهذيب الضمائر، وتكوين العواطف وتنمية الوعي، فهي اجدر بالبقاء من كل كائن حي، بل احق بالخلود من هذا الكوكب الذي يعيش فيه الانسان، لأنها اطار لأسمى معاني الكرامة الانسانية (القرشي، ١٦:٢٠٠٨)

إن الامام الحسين عليه السلام، لن يكتب عنه التاريخ الا باللغة التي تحدث بها عنه جده رسول الله (عليهما افضل الصلاة والسلام) فهو رجل رسمت له الاقدار مساراً لا يحيد عنه ولا ينكسر، ولن يكون مصيره الا بالطريقة التي خطها جده رسول الله، وهو عارف بكل التفاصيل التي عليه خوضها من قبل ان يتوجها بالنهاية التي تنتظره (الخزاعي،٢٠١٤، الانترنت).

تتجلى اهمية البحث في تناوله لشخصية الامام الحسين عليه السلام تلك الشخصية التي اثرت في الفكر العالمي، كونه يمثل شعلة النضال والتحرر من العبودية ورفض الباطل وعدم السكوت على الباطل فاصبح الامام الحسين القدوة التي يحاول كل مناضل في الإنسانية الاقتداء به، كذلك تتوضح اهمية البحث من خلال توضيح الاهداف التي يمكن ان يؤسسها الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء والتي تتمثل في الغاية التي كان ينبغي بلوغها أو تحقيقها وإن طال الزمن والتي بادر بثورته تلك من أجلها واستشهد في سبيلها والتي يمكن توضيحها بانها محاولة إحياء الإسلام، وتوعية المسلمين وكشف الماهية الحقيقية للأمويين وإحياء السنة النبوية والسيرة العلوية، واصلاح المجتمع واستنهاض الأمة، والعمل على إنهاء استبداد بني أمية على المسلمين، وتحرير إرادة الأمة من حكم القهر والتسلّط، وإقامة الحق وتقوية أهله، توفير القسط والعدالة الاجتماعية وتطبيق حكم الشريعة، وإزالة البدع والانحرافات وإنشاء مدرسة تربوية رفيعة وإعطاء المجتمع شخصيته ودوره.

أهداف البحث: يستهدف البحث الحالي:

١- تناول بعض احاديث الامام الحسين عليه السلام في واقعة الطف.

٢- قراءة نفسية لاحاديث الامام الحسين عليه السلام في واقعة الطف.

منهجية البحث:

اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي القائم على التحليل والتفسير الذي يسعى إلى تحديد الوضع الحالي للظاهرة المدروسة ومن ثم وصفها، وبالنتيجة فهو يعتمد دراسة الظاهرة على ما توجد عليه في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا (ملحم، ٢٠٠٠: ٣٢٤)

فدراسة اي ظاهرة، أو مشكلة تتطلب وصفاً لهذه الظاهرة والهدف من تبني هذا النوع من البحوث هو التوصل إلى فهم اعمق للظاهرة المدروسة، ولا يتوقف هذا المنهج عند حدود وصف الظاهرة وانما يتعدى ذلك إلى التحليل والتفسير وصولاً إلى تعليمات ذات معنى تزداد بها المعلومات عن تلك الظاهرة (داود، ١٩٩٠: ١٥٩)

قراءة نفسية لاحاديث الامام الحسين عليه السلام في واقعة الطف:

لقد نهض الإمام الحسين عليه السلام وضحى بدمه ودماء أهله الطيبين من ذريته وأصحابه، فكانت نهضته المباركة حياة للإسلام ليستلهم المسلمون من حركته التي بقيت حية نابضة في مختلف المجتمعات، ولذلك حاول المستكبرون في كافة العصور اخماد نورها ونارها المحرقة للظالمين، ولكنَّ المشيئة الإلهية تغلبت على هؤلاء الظالمين، لتبقى نهضة الإمام الحسين عليه السلام خالدة على مر العصور، وعندما نتحدث عن هذه المناسبة العظيمة يقف التاريخ إجلالا لها ويسبق حديثنا بخشوعه الجليل أمام ما تعنيه هذه المناسبة الخالدة من قيم ومعاني سامية رسمت الخطوط العريضة الحية للحياة، والتي حددت مسار البشرية نحو العدل والحق والنور والثورة على الباطل بفضل استشهاد سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول الكريم إمام التقى والهدى وسفينة النجاة الإمام الحسين ابن علي عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم، هذا الاستشهاد الفريد من نوعه الذي اتسم بكل معاني التضحية والفداء، ونكران الذات والشجاعة والإيثار من أجل إصلاح الأمة وصون رسالة جده المصطفى، وتغيير الانحراف والتجبر نحو الصحيح وتحدي الباطل بسلاح الحق، وسحق الظلام بروح النور، كل هذا جسده الإمام الحسين في مرحلة تاريخية حرجة مرت بها رسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله من اجل صونها والحفاظ على الدين الإسلامي الحنيف من الذين كانوا ينوون به سوءا وانحرافا.

لقد تجلّت الأهداف التي خرج من اجلها الامام في فكره وفي عمله أيضاً، وكذلك لدى أنصاره وأتباعه والتي يمكن تناولها من خلال احاديث الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف والمعبرة عن أهدافه ومن خلال البعد النفسي لهذه الاحاديث التي اشار اليها الامام الحسين عليه السلام في واقعة الطف وكالاتي:

(إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب) (المجلسي،٤٤:٣٨١)

إن هذا القول الذي اطلقه الامام الحسين عليه السلام في يوم الطف انما يمكن تفسيره من خلال ان الامام الحسين عمل على التغيير والإصلاح وإعادة المفاهيم والقيم إلى موقعها الطبيعي بما يتفق وينسجم مع الفطرة البشرية، وتمثل ايضا العزيمة والإرادة والإقدام لدى الإمام الشهيد وعزمه على الرحيل والهجرة وإرادته الواثقة في الوقوف بوجه التمرد والظلم دون مداهنة السلطة ان تصدي الإمام الحسين يظهر من خلال عامل ضبط النفس الذي هو ركن أساس في إدارة الأزمات واتخاذ القرارات الحكيمة، وهذا يرجع في الأساس للتنشئة والتربية التي عاشها في بيئة معصومة من الزلل تشبعت بالقيم والمثل الأخلاقية والتي هي اليوم قيماً محط تركيز المختصين في مجالات تربية وتنشئة الطفل لينمو بشخصية واثقة معتمدة على نفسها، لقد أيقن سيد الشهداء عليه السلام أنّ القضية الإسلامية لا يمكن أن تنتصر إلاّ بضخامة ما يقدّمه من التضحيات، فصمّم بعزم وإيمان على تقديم أروع التضحيات، فقدم نفسه وأراق دمه الطاهر من أجل أن ترتفع راية الحقّ، وتعلو كلمة الله في الأرض، كما ان أقدام أبو الشهداء عليه السلام على أعظم تضحية لم يقدمها أيّ مصلح اجتماعي في الأرض، إذ قدم أبناءه وأهل بيته وأصحابه فداءً لما يرتئيه ضميره من تعميم العدل، وإشاعة الحقّ والخير بين الناس، ان هذه التضحية تمثّل شرف العقيدة، وسموّ القصد، وعظمة المبادئ التي ناضل من أجلها، وهي من دون شك ستبقى قائمة على مرّ القرون والأجيال تضيء للناس الطريق، وتمدّهم بأروع الدروس عن التضحية في سبيل الحقّ والواجب، كما انه بخروجه بتلك الحالة أراد أن يثأر من يزيد في خلافته، ويقتله في كرامته، وحقّا لقد وقع ما توقّعه، فكان لما فعله يزيد وعصبته من فظيع الأثر في نفوس المسلمين، وزاد في أضغانهم ما عرّضوا به سلالة النبوّة، فالإمام الحسين عليه السلام ثار من أجل القيم الإسلامية والشعب المسلم، لقد ثار على يزيد

باعتباره ممثلاً للحكم الأموي، هذا الحكم الذي جوع الشعب المسلم، وصرف أموال هذا الشعب في اللذات وشراء الضمائر، وقمع الحركات التحررية، هذا الحكم الذي اضطهد المسلمين من غير العرب وهددهم بالإفناء، وفرق وحدة المسلمين العرب، وبث بينهم العداوة والبغضاء، هذا الحكم الذي شرد ذوي العقيدة السياسية التي لا تنسجم مع سياسة البيت الأموي وقتلهم وقطع عنهم الأرزاق، وصادر أموالهم، هذا الحكم الذي شجع القبيلة على حساب الكيان الاجتماعي للأمة المسلمة وقتل كل نزعة إلى التحرر بواسطة التخدير والدعاية الكاذبة، كل هذا الانحطاط ثار عليه الامام الحسين عليه السلام.

كما ان الدوافع الاجتماعية التي تداخلت مع الدوافع السياسية هدفها الإيغال في ضرب الروح الاجتماعية السائدة في المجتمعات الإسلامية الناشئة آنذاك، فبدلاً من زيادة النضج الاجتماعي لدى المجتمعات الإسلامية، أوغلوا في التهديم ونشر الوعي المتدني من خلال بث روح المحرمات كسلوك في المجتمع وارتكاب الفواحش في مقابل عيش خسيس، فلقد كان المجتمع الإسلامي في أيام الامام الحسين عليه السلام مجتمعاً مريضاً يشترى ويباع بقليل من المال وكثير من العذاب والإرهاب،الامر الذي جعل الامام الحسين عليه السلام من ان يخرج لحماية الرسالة السماوية التي جاء بها جده الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله لقد انطلق الامام ليصحح الاوضاع الراهنة في البلاد، ويعيد للامة ما فقدته من مقوماتها وذاتياتها، ويعيد لشرايينها الحياة الكريمة التي تملك بها ارادتها وحريتها في مسيرتها النضالية لقيادة أمم العالم في ظل حكم متوازن تذاب فيه الفوارق الاجتماعية، وتقام الحياة على أسس صلبة من المحبة والاخاء، انه حكم الله خالق الكون وواهب الحياة، لا حكم معاوية الذي قاد مركبة حكومته على اماتة وعي الانسان، وشل حركاته الفكرية والاجتماعية.

ووفقا للمسؤولية الاجتماعية التي يحملها الامام الحسين عليه السلام اتجاه مجتمعه فأنه قد رأى أنه مسؤول عن هذه الامة، وانه لا يجدي باي حال في تغيير الاوضاع الاجتماعية التزام جانب الصمت، وعدم الوثوب في وجه الحكم الاموي الملئ بالجور والاثام، فنهض الامام عليه السلام بأعباء هذه المسؤولية الكبرى، وأدى رسالته بأمانة واخلاص، وضحى بنفسه وأهل بيته وأصحابه ليعيد على مسرح الحياة عدالة الاسلام وحكم القران.

ويمكن الاشارة إلى ان من بين ما يمكن تفسيره في مقولة الامام الحسين عليه السلام هذه هو

فقدان الامن وانعدام الامان في جميع أنحاء البلاد، وساد الخوف والارهاب على جميع المواطنين، فقد أسرفت السلطة الاموية بالظلم، فجعلت تأخذ البرئ بالسقيم، والمقبل بالمدبر، وتعاقب على الظنة والتهمة، وتسوق الابرياء بغير حساب إلى السجون والقبور، وكان الناس في عهد زياد يقولون: "انج سعد فقد هلك سعيد" ولا يوجد أحد الا وهو خائف على دمه، وماله، فثار الامام الحسين عليه السلام لينقذ الناس من هذا الجور الهائل.

إن الامام الحسين عليه السلام في خروجه إلى ساحات الجهاد والفداء، يمكن قراءته في مقولته هذه ايضا في انه اراد ان يطعم المسلمين بروح العزة والكرامة، فكان مقتله نقطة تحول في تاريخ المسلمين وحياتهم فانقلبوا راساً على عقب، فتسلحوا بقوة العزم والتصميم، وتحرروا من جميع السلبيات التي كانت ملمة بهم، وانقلبت مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت جاثمة عليهم إلى مبادئ الثورة والنضال، فهبوا متضامنين في ثورات مكثفة شهدها التاريخ.

أما القول الاخر والذي هو (فاني لا أرى الموت الا سعادةً، والحياة مع الظالمين الا برما أن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون). (المجلسي،٤٤:٣٨١)

احدى نظريات علم النفس في موضوع الشخصية وضعها المنظر اريك اريكسون إذ قسمت هذه النظرية مراحل النمو النفسي والاجتماعي إلى ثمان مراحل اخرها سماها (تكامل الذات مقابل اليأس)، وهي تكون في مرحلة الستينات من العمر ولو اردنا ان نربط بين هذه المرحلة وعمر الامام الحسين عليه السلام في اثناء معركة الطف إذ حسب الروايات انه يقترب من الستين من العمر وهناك من يشير إلى انه في الستينات من عمره، المهم انه وفقاً لهذه المرحلة يشعر الفرد بتكامل الانا اي تقبله لدورة حياته وحياة الاخرين الذين لهم معنى بالنسبة له، فتكتسب الانا فاعلية جديدة تتمثل في الحكمة التي تدل على الحكم الناضج والفهم الشامل، إذ وفقاً لوجهة نظر اريكسون فأن هذه المرحلة والنظر اليها بهذا الشكل نلاحظ التأكيد على القدرة على مواءمة الذات للظروف المتغيرة يعد دليلا على النضج وتمتاز الشخصية هنا بالفطنة والبصيرة، فالشعور بتكامل الانا يعني تقبل حتمية الموت عند الشعور بالاقتراب من الاجل في نهاية الحياة فالشعور بعدم الخوف من الموت هو الذي يمتلك الحكمة التي تنشأ من تكامل الذات، وتعبر عن نفسها باهتمام متجرد لكل الحياة ونقل خبرة متكاملة

للجيل القادم وهذا ما تركه لنا الامام الحسين ولكل الاحرار في العالم وبمراجعة بسيطة للتاريخ نرى مدى الاثر الكبير الذي تركه سيد الشهداء ويمكن ان نستنتج ان الامام الحسين عليه السلام اتصف بالإقدام على المواجهة التي ابتدئها وبثبات يصعب تحقيقه في واقع حياتنا المليئة بالمواقف والأحداث، لقد كانت الثقة بالنفس التي تنشأ من تكامل الانا والنظرة الايجابية للذات والتي هي اليوم محل تركيز البرامج النفسية في علاج الخوف والإقدام على اتخاذ القرارات بشكل مدروس واثق التصرف، فكان هذا العامل حاضراً في تحركات الإمام الحسين يوم كربلاء في مجابهة الأعداء مع القلة التي معه، إن تحلي الإنسان بشخصية واثقة تمتاز بالقوة والتأثير قد يدفعه للعجب بنفسه وينسى بعض الحقوق والجوانب الإنسانية الأخرى التي قد يظنها نقاط ضعف تفقده بعضاً من بريقه الإعلامي والوجاهي، إلا أن شخصية الامام الحسين عليه السلام كانت على العكس من ذلك، لقد اتخذ قراره الذي لا رجعة فيه وأدى به علمه إلى أن ذلك الطاغية لا يرحم، وانه يريد موته حتماً إذا ما أعلن الثورة عليه، أو أن التعامل معه والخضوع له اكثر مرارة، فالإمام الحسين عليه السلام كان هنا هو المثال في قوة الإرادة وصلابة العزيمة في المواجهة والدفاع عن قضيته، قضية الوجود الإنساني بأسره، ومن هنا عدت انعطافاً خطيراً في حياة الأمة، وأن الموت جسر للجواز نحو جنان الخلد والشهادة والمروءة، والاستعانة بالجميع وعلى الدوام في سبيل إحقاق الحق، وهنا يكمن سر بقاء عاشوراء في ظل هذه التعليمات والأهداف المستقاة من كلام الامام الحسين عليه السلام وقد استلهمت الثورات المناهضة للظلم والاستبداد مبادئها من هذه النداءات والتوجيهات، فالدين أساساً يعد حركة اجتماعية قامت من أجل تحرير الإنسان من الجهل والتبعية ونشر الحق والعدالة الاجتماعية، فقد استخدمه معاوية كغطاء يوهم الناس به، على أساس أنه يحكم بتفويض آلهي وانه وبني أمية خلفاء رسول الله، هادفين من وراء ذلك بأن يجعلوا الثورة عليهم عملاً محظوراً وإن ظلموا وشردوا المؤمنين، وأن يجعلوا لأنفسهم - باسم الدين - الحق في قمع أي تمرّد تقوم به جماعة من الناس وإن كانت محقة في مطالبها لذا فإن أضمن السبل لتحطيم هذا الإطار الديني هو أن يثور عليه رجل ذو مركز ديني مسلم به عند الأمة المسلمة بأسرها، فثورة الامام كفيلة بأن تفضح الزخرف والغطاء الديني الذي يتظاهر به الحكام الأمويون، وأن يكشف هذا الحكم على حقيقته، وجاهليته وبعده الكبير عن مفاهيم الإسلام، ولم يكن هذا الرجل إلا الامام الحسين عليه السلام.

وفي قوله (لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد (لا أفرّ فرار العبيد)" هيهات منا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون) (المجلسي،٣٨١:٤٤)

وفقا لوجهات النظر في موضوع الشخصية، فأن احدى نظريات الشخصية لهورناي تتحدث عن حاجة الامن وعدم الخوف والتحرر منه وان هذه المشاعر تؤثر على شخصية الفرد فالشعور بالأمن يعتمد بصورة اساسية على المعاملة التي يلقاها الفرد من الوالدين، إذ تتشكل شخصية قوية من خلال الخبرات التي يتلقاها الفرد في طفولته، كما تكتسب شخصية الإنسان منذ ولادته وحتى وفاته سمات ومقومات تجعل منه إنساناً كاريزمياً ينتقل بشخصيته وآثاره من شخصه إلى نفوس الآخرين من خلال عامل الإعجاب والإنبهار، بل وحتى التطبيق لكل ما يقوم به فالحديث هنا عن العوامل التي تساعد على صياغة شخصية قوية وطرق صقلها واكتشافها في ذات الفرد فيكون مربياً لذاته ومتعلماً من محيطه الذي يعيش فيه من خلال رفض السلوكيات السالبة وإشاعة الإيجابية منها، فتظهر قدراته الشخصية ومستوى الوعي والتصرف لديه في المواقف المحك التي هي محل الامتحان، فشخصية الإمام الحسين امتازت بسمات فريدة أعطتها الحياة والبقاء طيلة القرون الماضية وجعلت من قيم الثورة مادة متجددة في الحياة، فامتازت بإدراك مخاطر الواقع، فالنشئة الاجتماعية التي نشأ عليها الامام الحسين عليه السلام في بيت النبوة تقوم على الثقة العالية بالنفس المستمدة من كونهم يمثلون الامتداد الطبيعي للرسالة الاسلامية وكذلك عدم السكوت على الظلم والخطأ وهذا ناتج ايضا من الصورة الايجابية للذات والتقدير العالي للذات مما يجعل من يتصف بمثل هذه الصفات لا يقبل المهادنة ولا الخضوع، والتربية القائمة على الالتزام بالقيم والمثل الاسلامية الرافضة لكل انواع الجور والاضطهاد والظلم فالامام الحسين عليه السلام هنا حاول غرس روح الثورة ورفض الواقع الذي فرضته الدولة الأموية بكل قوتها ودهاء مؤسسها، وانكشاف الغمامة عن الناس، في محاولة لتحطيم الحاجز النفسي والاجتماعي للخضوع فالإمام الحسين عليه السلام رأى بأن الإسلام عرضة للضياع في ظل سلطة يزيد، وحرمة مبايعة شخص كيزيد، وأفضلية الموت الأحمر على حياة المذلة، وندرة الناس الصادقين في ساحة البلاء، ووجوب السير نحو الشهادة في عصر تسلط الباطل، وزينة الشهادة بالنسبة للإنسان، وفريضة محاربة حكم الجور والتسلط، والتسليم لإرادة الله والرضا بقضائه ومرافقة السائرين نحو الشهادة في كفاحهم العادل، وحرمة الذلة على الأحرار والمؤمنين،

فالإمام الحسين عليه السلام خرج ولم يكن يملك العدة أو العدد اللازمين لملاقاة جيش يزيد، وهو كان يعلم ذلك جيداً، ولكنه كان حريصاً على إحياء معنى الحق في النفوس وضرب المثل بنفسه وبعشيرته في الوقوف ضد الظلم حتى ولو وقف وحيداً، وجعل حياته في كفة وإرساء هذه المعاني في نفوس المسلمين في كفة، فهذه لحظة فاصلة تتحدد من خلالها قيماً ومعان هائلة تؤثر في التاريخ الإسلامي بل والتاريخ الإنساني كله.

وفي قوله (إنَّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فَتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل شَاربُ الخُمورِ، وقاتلُ النفس المحرَّمة، مُعلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحَقّ بالخلافة) (المجلسي،٣٨١:٤٤)

يريد الامام الحسين عليه السلام في قوله هذا ان يعطي صورة عن ما يحمله من صفات وخصائص في الشخصية مستمدة من شخصية الرسول صلى الله عليه وآله هذه الصفات التي تقوم على الاعتداد العالي بالذات والمهابة والشخصية الملتزمة، المُصلحة الحاملة للارث الرسالي، وهنا لابد من الاشارة في تأكيد علم النفس على ان الشخصية الانسانية هي نتاج تفاعل عاملي الوراثة والبيئة إذ يولد الفرد مزوداً بخصائص وسمات تنتقل اليه من ابويه عبر الجينات، وبالتالي فان الامام الحسين عليه السلام قد امتاز بالصفات التي يحملها الرسول كونه يمثل امتداداً له والعامل الاخر هو البيئة وفيها يكتسب الانسان الكثير من الصفات والمهارات والقابليات وتدخل التنشئة الاجتماعية لكي تؤدي دوراً كبيراً في اكساب الامام الحسين الكثير من الصفات من مثل التقدير العالي للذات واحترام الذات وقبول النفس لذا فان الصورة التي يوضحها الامام الحسين هنا هو انه بما يمثله من ارث رسالي ورباني لا يمكن ان يقارن بما يحمله الاخر وهو ابن الطلقاء لذا فأن الكلمة التي ارادوا ان ينطقها وهي المبايعة فان مثله لا يمكن ان يعطيها لشخص لا يحمل من الاسلام سوى الاسم فهو يرى ان الامة تتدهور نحو رذيلة الحاكم وفساده أيبقى في مكانه؟ قد يجرف السيل أمة جده ويدمرها وقد لا يحدث شيئاً من ذلك على الإطلاق لكنه لا يستكين للظلم وكذلك اراد الامام الحسين عليه السلام فضح وتحطيم الإطار الديني المزيف الذي كان الأمويون وأعوانهم يحيطون به سلطانهم، وفضح الروح اللادينية الجاهلية التي كانت توجه الحكم الأموي، كما ان الإسلام يشترط في القائد الذي يقود الأمة ويمسك بزمام الأمور أن يلتزم بقواعد القسط والعدل ويحترم قوانين الشريعة

وإرادة الأمة ويلتزم بسيادة القانون ويتجرد عن حب التسلط واستغلال المنصب وجعله طريقاً للاثراء والمتع والإستئثار، كما ان الامام الحسين عليه السلام يرى القيادة أداة ووسيلة لوضع الأمة على طريق الهدى والصلاح والعمل على تربية الإنسان وبناء شخصيته وتنظيم الحياة وتطويرها نحو الخير والكمال، وهذا ما لم يكن متوفراً في شخصية يزيد لكي يقود الامة، نرى ان البعد النفسي في مقولته هذه وكأنه اراد ان يقول انه يمثل هوية أمة بكاملها، هوية انتماء إلى عقيدة راسخة، جدلية متجددة عبر قرون من خلال الانتماء الذي حقق الصراع اللامنتهي، الذي يؤدي إلى استمرار هذه العقيدة، فهي ما أن تخفت بفعل قسوة الحكام أو عنف الأنظمة، وعودة دعاة الرؤية الأموية أحياناً أخرى في أزمنة أخرى، حتى ينبعث شعاعها من جديد، فجوهر وجود الحسين برؤياه للحياة وفلسفته القائمة على الثورة، ظلت تحمل لواء الحرية ورفض العبودية والصنمية، وهو تعبير صريح عن رفض الوجود المستكين الخاضع، كما ان المسؤولية الدينية التي يحملها الامام الحسين عليه السلام اتجاه مجتمعه تجعل في اقدامه على بيعة يزيد انحراف عن أصل من اصول الدين من حيث أن السياسة الدينية للمسلمين لا ترى في ولاية العهد وراثة الملك إلا بدعة هرقلية دخيلة على الاسلام، ومن حيث أن اختيار شخص يزيد مع ما عرف عنه من سوء السيرة، وميله إلى اللهو وشرب الخمر، ومنادمة القرود ليتولى منصب الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله اكبر وزر يحل بالنظام السياسي للإسلام يتحمل وزره كل من شارك فيه ورضى عنه، فما بالك إذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول الله، كان خروج الحسين إذا أمراً يتصل بالدعوة والعقيدة اكثر مما يتصل بالسياسة والحرب

الاستنتاجات: من خلال ما تقدم يمكن الخروج بالاستنتاجات الاتية:

في البداية لابد من وصف عام للشخصية من حيث توافقها وعدم توافقها والمعروف في الدراسات النفسية ان الشخصية غير السوية هي تلك الشخصية التي تعاني من الاضطراب والمرض ومن عدم القدرة على التعايش مع الاخرين بصورة طبيعية، في حين ان الشخصية السوية هي الشخصية الطبيعية المتزنة المتوافقة القادرة على الانفتاح والتعايش مع الاخر بصورة طبيعية، إذ يتضمن مفهوم الشخصية ثلاثة عناصر من خواص الإنسان، وهي افكاره واحاسيسه وسلوكه، ولكل فرد نمط خاص في التفكير والإحساس والسلوك، سببه اختلاف

العوامل الجينية الموروثة وعوامل البيئة الاجتماعية والثقافية التي تؤثر في التفكير والإحساس والسلوك، وبذلك ينفرد كل شخص عن الأخر بمجموعة متميزة من الخصائص والخصال والسمات وانماط السلوك ذات الطابع الدائم والمستمر التي ترافقه طوال حياته ما لم يحدث طارئ يغير نمط شخصيته. وتتميز الشخصية السوية عن الشخصية المضطربة بقدرتها على المرونة في التفكير والإحساس والسلوك في المواقف الاجتماعية والشخصية المختلفة، يعني ذلك ان الشخص يكون قادرا على الاستفادة من خبراته السابقة في تغيير آرائه واحاسيسه وانفعالاته وسلوكه عندما يحصل على معطيات جديدة تبرر ذلك التغيير، وبذلك تمكنه المرونة هذه ان يتعايش مع الأخرين ويتفاعل معهم وان يعبر عن افكاره واحاسيسه وسلوكه بطريقة مقبولة من جانب الجماعة التي يتعايش معها، وان يفكر ويتصرف بطريقة يمكن توقعها في مواقف مختلفة، مثلا يغضب في موقف مثير للغضب، او يخجل في موقف يستدعي الخجل.

على هذا الاساس، فإذا ما اردنا دراسة نمط الشخصية فإننا نقف امام نمطين من الشخصية احدهما يمثله مسار الامام الحسين عليه السلام وهو الشخصية السوية السليمة المتزنة المشبعة بالإيمان نتيجة ما توارثه من خصائص وصفات كونه سليل بين النبوة وكذلك ما اكتسبه من صفات سلوكية كونه تعلمها من التنشئة التي نشأ عليها في حجر النبي (عليه افضل السلام والسلام) وابيه الامام علي عليه السلام وامه الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فهذه المدرسة التي نشأ فيها، يقابله في الجانب الاخر معسكر يزيد وما يحمله هذا المعسكر من خصائص غير سوية بالاضطراب وعدم السواء وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال التركيز على ما قاموا به من سلوكات وافعال غير سوية وفق ما تنقله كتب التاريخ.

ووفقا للدراسات والابحاث النفسية فإن الشخصية الانسانية تتأثر بعاملي الوراثة والبيئة وما يولد الشخص وهو مزود به من امكانات وتؤديه البيئة من دور في هذه الاستعدادات والامكانات، ومن هنا يمكن القول ان الامام الحسين عليه السلام وفقاً لنشئته قد، عد الروح الاجتماعية التي تسود طبيعة المجتمع وتشكيله من الجوانب المهمة التي تعمل على تأصيل العلاقة بين الافراد، كما أن التغيرات الطارئة التي تحدث في المجتمع قد تقود إلى التدهور والانحدار، لهذا كان انتقال الحكم إلى بني أمية واغتصابه عنوة وتوارثه من معاوية إلى يزيد، وخلال عشرين عاماً من الامور التي ادت إلى انحدار كل الحياة الاجتماعية في المجتمع

الإسلامي حديث التكوين، والذي بناه الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله فعودة الجاهلية من جديد بثوب ألبسه بنو أمية على البلاد الإسلامية بعد أن هدمه النبي في دعوته الإسلامية واستبدله بمجتمع القيم الإسلامية، وعودة العصبية من جديد كما أظهرها حكام بنو أمية في عصبيتهم لبني جلدتهم، يعد السبب الاجتماعي الأكثر طغياناً ودافعاً منذ البداية، فالحسين ثار من أجل القيم الإسلامية والشعب المسلم، لقد ثار على يزيد باعتباره ممثلاً للحكم الأموي، هذا الحكم الذي جوع الشعب المسلم، وصرف أموال هذا الشعب في اللذات وشراء الضمائر، وقمع الحركات التحررية، هذا الحكم الذي اضطهد المسلمين من غير العرب وهددهم بالإفناء، وفرق وحدة المسلمين العرب، وبث بينهم العداوة والبغضاء، هذا الحكم الذي شرد ذوي العقيدة السياسية التي لا تنسجم مع سياسة البيت الأموي وقتلهم وقطع عنهم الأرزاق، وصادر أموالهم، هذا الحكم الذي شجع القبيلة على حساب الكيان الاجتماعي للأمة المسلمة وقتل كل نزعة إلى التحرر بواسطة التخدير والدعاية الكاذبة، كل هذا الانحطاط ثار عليه الامام الحسين الشهيد.

إن ثورة الحسين عليه السلام لم تكن أحادية الجانب لا بالمعنى ولا بالمبنى حيث أن معانيها استمدت من الرسالة السماوية وتعاليمها الإلهية، فهو حمل معاني القيم الإنسانية مجتمعة في الدين الإسلامي الحنيف النقي دون التخدير الكاذب كما فعل بنو أمية، عندما حكموا الناس باسم الدين وقاوموا أي تحرك يقوم به الناس باسم الدين أيضاً، أما في مبناه، فقد بنى الإمام الحسين عليه السلام دعوته للثورة على امتداد مبدئية والده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن الإمام الحسين عليه السلام هو الامتداد الطبيعي لمنهج آل البيت عليهم السلام في التكوين والنشأة، ووجوده كان مكرساً لبسط سيادة قيم هذا الخط على عامة الناس من خلال ما يقوله وما يدعو إليه، فهو على حق بكل ما يدعو إليه وبكل ما يقوله، فهو يدعو إلى تصحيح مسار الحياة السياسية والاجتماعية، فكان الإمام الحسين عليه السلام هو الرجل الذي يستطيع أن يثبت على تعاليم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله دون رياء أو تحريف أو مواربة، وهو القادر على تجسيد مبدئية الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو القادر بأن يفضح الحكام الأمويين ويكشف زيفهم، وأن يتوجه للشهادة طوعاً وبعزم أكيد ضد دولة الظلم والكفر والعدوان إن ثورة الإمام الحسين ثورة أصحاب الحق الذين باتوا غرباء مضطهدين.

من خلال ما تقدم يمكن القول توصيف نمط الشخصية التي اتصف بها الامام الحسين عليه السلام هنا بما تحمله من صفات وخصائص منها الايثار والتضحية هي من نمط الشخصية المُصلح، والعمليات النفسية التي يتصف بها هذا النمط هي الموضوعية والمسؤولية الاجتماعية، كما ان الكوامن الايجابية في هذا النمط من الشخصية في الاعتدال وما يمليه عليه ضميره والضبط الذاتي، وإذا ما أردنا النظر إلى ما قام به الامام الحسين عليه السلام من دور فأن الكوامن الايجابية لشخصية الامام تتوافق مع الكوامن الايجابية لنمط الشخصية المصلح، يضاف إلى ذلك ان المجتمع وافراده في تلك الفترة لم ينصروا الامام عليه السلام وتركوه واهل بيته وحيداً يواجه طغياناً كبيراً تحركه نوازعه الشريرة، ووفقاً لنمط الشخصية المصلحة التي ينتابها الاحباط من كونها قد فقدت الصورة المثالية للمجتمع الذي امامها وهذا ما كان يراه الامام الحسين عليه السلام من ان المجتمع قد فقد صورته المثالية والكمالية التي كان يتوق اليها، فكل ما يحيط به لا يتناسب والمعايير القياسية التي يحملها ويؤمن بها، وبالتالي فان العالم المحيط به لم يكن متسقاً لهذا فأن استشهاد الامام الحسين عليه السلام يمثل تصدع في نفس كل مسلم غيور، رفض ويرفض الذل والمهانة، فهي واقعة خسر الامام الحسين عليه السلام أهله وعشيرته من أجلها، ولكنه علّم الكون كيف تكون قوة المبادئ، وقوة الإرادة، فمحي أثر يزيد بعد أن عاش مهووساً (مرض الهوس) بمقتل الحسين، وعاش اللوثة العقلية في حياته بفعل ما اقترفه من ذنب، وانمحى أثره بعد موته، وظل الحسين شاخصاً بذكراه عبر القرون، ذكرى تظل تتجدد عبر العصور.

كذلك يمكن القول أن شخصية الامام الحسين عليه السلام تتميز بنمط الشخصية المؤمن، إذ تتحلى شخصيته عليه السلام بأعلى الدرجات في السمات التي تتألف منها نمط الشخصية المؤمن وهي (العلم، والحلم، والسماحة، والشجاعة، والفصاحة، والمحبة في قلوب الإنسانيين)، إذ أنه اكتسب من أبويه أعلى المراتب في سمات الطاعة والإخلاص لله سبحانه وتعالى، والحكمة والغبطة، والإيثار، والصبر، والتواضع، والصدق، وكل سمة من هذه السمات ينضوي في داخلها العديد من السمات السوية، والأفعال السلوكية الهادفة إلى نشر الخير لجميع الكائنات.

التوصيات: في ضوء ما تم عرضه يمكن الخروج بالتوصيات الآتية:

١- ان الوقوف على واقعة الطف وما جرى فيها يعطينا تصوراً على كيفية غرس روح التضحية والصمود على المبادئ مما يمكننا من الاستفادة من هذه القيم وتضمينها في مناهجنا والعمل على غرسها في نفوس الطلبة.

٢- ان التضحيات التي قدمها الامام الحسين واهل بيته عليهم السلام تخبرنا ان الخلود للبشر يعتمد على ما يقدمه من تضحيات لذا علينا ان نستغل هذه الجوانب من التضحية في غرس روح الانتماء والمواطنة والاباء لدى ابنائنا.

٣- ان الامام الحسين عليه السلام يعد نموذجا للصمود والصلابة والمدافع عن الوجود الامر الذي يجعلنا قادرين على العمل على غرس مثل هذه المبادئ من خلال التركيز عليها في مختلف وسائل الاعلام.

٤- الاستفادة من واقعة الطف في فضح القمع والطغيان والاستبداد الذي مورس باسم الاسلام من قبل الطبقة الحاكمة آنذاك من خلال التركيز على هذه الجوانب السلبية التي مورست بحق اهل البيت.

٥- أن ثورة الامام الحسين عليه السلام هي تنبيه الأمة إلى الخطر، وتضعها في مواجهته وتفجِّر فيها طاقة الثورة وروح الرَّفض، وتحمل الحكم على أن يحافظ على الحد الأدنى من رعاية مبادئ الإسلام في سياساته، وهذا ما يمكن التأكيد عليه في المؤتمرات والندوات والمجالس التي تتناول الثورة الحسينية.

٦- أن ثورة الامام الحسين عليه السلام لم تكن حركة قبلية أو إقليمية أو مذهبية، بل هي ثورة دفعت إلى القيام بها مبادئ الإسلام وأحكامه لغاية تنبيه الأمة على واقعها السيء، وحملها على تحسينه عن طريق إثبات شخصيتها الإسلامية في وجه الحاكم المنحرف، وذلك بتصحيح نهج الحاكم، وهذا ما يمكن التنويه اليه في اي حركة اصلاحية وتصحيحية لمسار الحكم في البلاد.

٧- العمل على تضمنين مبادئ وقيم ثورة الامام الحسين من خلال مفهوم النموذج والقدوة التي تعد احدى الاساليب التي يمكن استخدامها في تعليم السلوك القويم السلوك القائم على التشبع بقيم أهل البيت عليهم السلام.

هوامش البحث ومصادره

١- ابي مخنف، لوط بن يحيى (ب، ت) واقعة الطف: مؤسسة النشر الاسلامي، قم.

٢- امين، احمد (١٩٦٤) فجر الاسلام: النهضة المصرية، القاهرة.

٣- داود، عزيز حنا، عبدالرحمن، انور حسين (١٩٩٠) مناهج البحث التربوي: دار الحكمة، بغداد.

٤- الخزاعي، خضر عواد (٢٠١٤) موقع كتابات، انترنت.

٥- القرشي، محمد باقر (٢٠٠٨) حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء.

٦- القرشي، محمد باقر (ب، ت)، حياة الحسين عن كتاب: أبناء الرسول في كربلاء/ خالد محمد خالد: في، عباس الذهبي، موقع شبكة رافد، الانترنت.

٧- المجلسي، محمد باقر (١٩٨٣) بحار الانوار، تحقيق الشيخ عبد الزهراء العلوي: مؤسسة الوفاء، بيروت.

٨- ملحم، سامي محمد (٢٠٠٠) القياس والتقويم في التربية وعلم النفس: دار المسيرة، عمان.